أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها

اسمها رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموية زوج النبي ﷺ، تكنى أم حبيبة، وهي بها أشهر من اسمها، وأمها صفية بنت أبي العاص بن أمية، ولدت رضي الله عنها قبل البعثة بسبعة عشر عاماً، وكانت قبل النبي ﷺ تحت عبيد الله بن جحش بن رياب بن يعمر الأسدي من بني أسد بن خزيمة، فأسلما ثم هاجرا إلى الحبشة فولدت حبيبة وبها كانت تكنى، ولقد أصيب زوجها بالخذلان، فارتد عن الإسلام، ودخل في النصرانية وفارقها، وذلك من فضل الله تعالى عليها ليتم لها الإسلام، والهجرة وأبدلها الله - عز وجل - من هو أفضل من كل البشر محمداً بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وكانت وفاتها رضي الله عنها سنة أربع وأربعين للهجرة[1] رضي الله عنها وأرضاها.

ولقد وردت لها بعض المناقب التي دلت على علو مكانتها وجليل قدرها رضي الله عنها وأرضاها وتلك المناقب هي:

1 - مما حظيت به رضي الله عنها أنها كانت ممن هاجر في الله الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة فارة بدينها رضي الله عنها وأرضاها، فقد روى ابن سعد والحاكم عن إسماعيل بن عمرو بن سعيد بن العاص، قال: قالت أم حبيبة: رأيت في النوم عبيد الله بن جحش زوجي بأسوأ صورة وأشوهه، ففزعت فقلت: تغيرت، والله حاله فإذا هو يقول، حيث أصبح: يا أم حبيبة إني نظرت في الدين، فلم أر ديناً خيراً من النصرانية، وكنت قد دنت بها، ثم دخلت في دين محمد، ثم قد رجعت إلى النصرانية، فقلت: والله ما خير لك وأخبرته بالرؤيا التي رأيت له، فلم يحفل بها، وأكب على الخمر حتى مات فأرى في النوم، كأن آتياً يقول: يا أم المؤمنين ففزعت فأولتها أن رسول الله ﷺ يتزوجني، قالت: فما

(1) انظر ترجمتها في "الطبقات لابن سعد 96/8 - 100، طبقات خليفة بن خياط ص/332، الجرح والتعديل 461/9، المستدرك 20/4 - 23، الاستيعاب على حاشية الإصابة 296/4 - 299، أسد الغابة 457/5، جلاء الأفهام ص/128 - 135، سير أعلام النبلاء 218/2 - 223، البداية والنهاية 31/8، مجمع الزوائد 249/9 - 250، الإصابة 298/4، تهذيب التهذيب 419/4.

هو إلا أن انقضت عدتي فما شعرت إلا برسول النجاشي على بابي يستأذن، فإذا جارية له يقال لها: أبرهة، كانت تقوم على ثيابه ودهنه، فدخلت علي فقالت: إن الملك يقول لك: إن رسول الله ﷺ كتب إلي أن أزوجكه فقالت: بشرك الله بخير قالت: يقول لك الملك: وكلي من يزوجك فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته... الحديث[1].

في هذا بيان فضيلة ظاهرة لأم حبيبة رضي الله عنها وهي أنها كانت ممن شرف بالهجرة إلى أرض الحبشة.

وقال ابن سعد: "وكان عبيد الله بن جحش هاجر بأم حبيبة معه إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، فتنصر وارتد عن الإسلام، وتوفي بأرض الحبشة، وثبتت أم حبيبة على دينها الإسلام وهجرتها"[2].

وقال الحافظ ابن كثير: "أسلمت قديماً، وهاجرت هي وزوجها عبيد الله بن جحش إلى الحبشة، فتنصر هناك زوجها وثبتت على دينها رضي الله عنها[3].

2 - ومما فيه تنويه بشأنها أن النبي ﷺ بعث من يخطبها له إلى الحبشة.

فقد روى الحاكم بإسناده إلى جعفر بن محمد بن علي عن أبيه قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي يخطب عليه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت تحت عبيد الله بن جحش فزوجها إياه وأصدقها النجاشي أربعمائة دينار[4].

قال أبو جعفر محمد بن جرير: "فما نرى عبد الملك بن مروان وقت صداق النساء أربعمائة دينار إلا لذلك"[5].

روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل

(1) الطبقات الكبرى 97/8، المستدرك 20/4 - 21.
(2) الطبقات 96/8.
(3) البداية والنهاية 31/8.
(4) المستدرك 22/4، وأخرجه ابن سعد في الطبقات 99/8.
(5) ذكره عنه ابن سعد في الطبقات 99/8، الحاكم في المستدرك 22/4.

عائشة زوج النبي ﷺ كم أصدق رسول الله ﷺ أزواجه، قالت: كان صداقه لأزواجه اثنتي عشرة أوقية ونصفاً، فذلك خمسمائة درهم، فهذا صداق رسول الله ﷺ لأزواجه "قال الحاكم": هذا حديث صحيح الإسناد وعليه العمل، وإنما أصدق النجاشي أم حبيبة أربعمائة دينار استعمالا لأخلاق الملوك في المبالغة في الصنائع لاستعانة النبي ﷺ به في ذلك[1].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: "وتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان واسمها رملة. هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى أرض الحبشة، فتنصر بالحبشة وأتم الله لها الإسلام وتزوجها رسول الله ﷺ، وهي بأرض الحبشة، وأصدقها عنه النجاشي أربعمائة، دينار وبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري فيها إلى أرض الحبشة وولى نكاحها عثمان بن عفان، وقيل: خالد بن سعيد بن العاص"[2].

قال الذهبي: "وهي من بنات عم الرسول ﷺ وليس في أزواجه من هي أقرب نسباً إليه منها ولا في نسائه من هي أكثر صداقاً منها، ولا من تزوج بها وهي نائية الدار أبعد منها، عقد له ﷺ عليها بالحبشة وأصدقها عنه صاحب الحبشة أربع مائة دينار، وجهزها بأشياء"[3].

4 - ومما زاد في قدرها وعلو شأنها أنها أكرمت فراش رسول الله ﷺ من أن يجلس عليه أبوها لما قدم المدينة لعقد الهدنة بين الرسول ﷺ وبين قريش ومنعته من الجلوس عليه؛ لأنه كان يومئذ على الشرك، ولم يكن قد أسلم، فقد روى ابن سعد بإسناده إلى محمد بن مسلم الزهري قال: لما قدم أبو سفيان بن حرب المدينة جاء إلى رسول الله ﷺ وهو يريد غزو مكة فكلمه أن يزيد في هدنة الحديبية، فلم يقبل عليه رسول الله ﷺ فقام فدخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش النبي ﷺ طوته دونه، فقال: يا بنية، أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجس

(1) المستدرك 22/4.
(2) جلاء الأفهام ص/128.
(3) سير أعلام النبلاء 219/2.

مشرك فقال: يا بنية لقد أصابك بعدي شر[1].

5 - أنها كانت شديدة الخوف من الله - جل وعلا - ومن العابدات الورعات، فقد روى ابن سعد والحاكم عن عوف بن الحارث قال: سمعت عائشة تقول: دعتني أم حبيبة زوج النبي ﷺ عند موتها، فقالت: قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك، فقلت: غفر الله لك ذلك كله وتجاوز وحللك من ذلك، فقالت: سررتيني سرك الله، وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك، وتوفيت سنة أربع وأربعين في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما[2].

* * * * *

(1) الطبقات الكبرى 99/8 - 100، وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء 223/2.

(2) الطبقات الكبرى 100/8، المستدرك 22/4 - 23، وأورده الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء 223/2، وابن= =كثير في البداية والنهاية 31/8، والحافظ ابن حجر في الإصابة 300/4.